الفصل الخامس

اللغةُ العربيةُ الفُصحى... جمعُها وتدوينُها ومصادرُها

جُمِعَت المادةُ اللغويةُ من النَّاطقينَ بها، بالذهابِ إليهم أو مشافهةً دون تحديدِ منهج يعينُ على ترتيبِ المادةِ اللغويـةِ المجموعـةِ وتبويبِهـا[1]، و الباحـثُ في تَـدوينِ الفِكـرِ اللغويِّ عِندَ العَربِ لَمْ يَجِدْ سِوىٰ مَا خلّدَه القُدَماءُ في رواياتِهم –الَّتي تَنَاقَلَهـا العُلَـماءُ الأوائلُ في مُنْتَصَفِ القرنِ الثاني الهجريِّ وحتىٰ الرابعِ الهجريِّ– تَسجيلاً لمشـافهتِهم للأَعرَابِ في حِلِّهِم وتِرحَالِهم، ويقولُ أبو عَمْرُو: «سمعتُ الكسائيَّ يقـولُ: حـداني علىٰ النظرِ في النحوِ أني كنتُ أقرأُ علىٰ حمزةَ الزيّاتِ، فتمرُّ بي الحجـةُ ولا أتجـهُ لهـا ولا أدري ما الجوابُ فيها... وكانتْ قبائلُ العربِ متصلةً بالكوفةِ، فخرجـتُ وأهـلي لا يعلمون بخروجي، فلما صرتُ إلىٰ ظـاهرِ الكوفـةِ ولقيـتُ القبائـلَ جعلـتُ أسـألُهم فيخبرونني مشافهةً ويُنشدونني الأشعارَ...»[2]، ومُنذُ ذَلِكَ الوقتِ لَمْ نَلحظْ أيَّ جُهدٍ لُغَويٍّ في هذا الميدانِ بالرَغْمَ مـن ظُهـورِ الجُغـرافيين العـربِ وتـدوينِهم للمعـارفِ الجغرافيةِ في شكلِها العامِّ الواسعِ، وهذا يعني أنَّ موضوعةَ الجغرافيةِ اللغويةِ لَمْ تَكُن مِن موضوعاتِ الدَّرسِ اللُغويِّ عندَ القـدماءِ بِمفهُومِهَـا الحـديثِ الواسـعِ[3] الَّـذي يَقتضي جَمْعَ واستقصاءَ المَادةِ اللغويةِ وتوزيعَها علىٰ خرائطَ ميدانيـةٍ حسـبَ البيئـاتِ

---

١) يُنظَرُ: البحث اللغوي عند العرب: ٦٢.

٢) مجالسُ العلماءِ: ٢٦٦-٢٦٧.

3) David – Crystal: The linguistic Atlas of England: 30 ((Geographical Identitx)).

اللغويةِ، وهذا مَا يتمثلُ بالمظهرِ التسجيليِّ الذي يرتكنُ إلى تحديدِ المادةِ اللغويـةِ نَوْعـاً وكمّاً فضلاً عَنْ ذَلِكَ تَحديدُ الطرائقِ المُستخدَمَةِ في جَمْعِ المَادةِ اللغويةِ من رواةِ اللغـةِ[1] ثُمَّ العملُ على تحليلِ المادةِ اللغويةِ الَّتي جُمِعَتْ مِنْ مُحِيطِها الجغـرافيِّ وتحديـدِ الفـروقِ لتنوعاتِها اللغويةِ – الصوتيةِ- الصرفيةِ- التركيبيةِ، الدلالية – التي جُمِعَتْ مِن ذلـكَ المحيطِ – بَل قَصَدوا إلى هذا الموضوعِ في إطارِ منهجهِ الوصفيِّ الَّذي يَقتضي وَصـفَ اللغةِ أو اللهجةِ في مستوياتِها المُختلفةِ[2] وتحديدَها وفَصلَ بَعضِها عَـنْ بعـضٍ نتيجـةَ التمايُزِ والاختلافِ الصَّوتيِّ والصَّرفيِّ والمُعجمـيِّ فَضْـلاً عـنِ الاخـتلافِ التركيبـيِّ، وهذا العَملُ وفي إطارِ هذا المنهجِ يُمكِنُ تبويبُهُ ورسـمُ الحـدودِ اللغويـةِ مِـنْ خـلال أنواعِ الخرائطِ اللغويةِ، إلا أنَّ هذا التنوعَ اللغويَّ لَمْ يكـنْ في نظـرِ القـدماءِ بِمُسْـتَوَى اللِّسانِ الفصيحِ إذْ يَرَونَ في ذلك نَوْعاً مِنَ الانحرافِ اللغوي الـذي نَعَتَـهُ بَعْضُـهم[3] باللغاتِ المذمومةِ أو الشاذةِ.

أمَّا مَوقِفُهم مِنَ اللسانِ الفصيحِ فقد ذَهَبَ بَعْضُهم إلى تحديدِ التنوعِ اللغويِّ الفصيحِ مُعتَمِداً في ذلكَ المجالَ الجغرافيَّ الذي تَحركَ فِيهِ عُلماءُ العربيةِ الأوائلُ –أبو عمرو بنُ العلاءِ ويونسُ بنُ حبيبٍ وعيسى بنُ عمرَ والخليلُ بنُ أحمدَ والكسائيُّ – في شبهِ جزيرةِ العربِ – إلا أنَّ التحديدَ المكانيَّ الذي يتمثلُ باللسانِ الفصيحِ لم يَكُنْ مُرتبطاً ارتباطاً وَثيقاً بالتنوعِ اللغويِّ، أي لَمْ يربطْ هؤلاءِ اللغويون المثالَ اللغويَّ بذلكَ المجال الجغرافيِّ بمعنى أنَّهم لم ينسبُوا الظواهرَ اللغويةَ بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ

---

١) من الكتب التي صنفت في مادة رواية اللغة، أو كان موضوع السماع و الرواية جزءا من مادتها عند القدماء و المحدثين (الخصائص لابن جني، ولمع الأدلة في أصول النحو لعبد الرحمن بن محمد الأنباري و الاقتراح في علم أصول النحو و المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي و الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي و الرواية و الاستشهاد باللغة للدكتور محمد عيد، و الإعراب و الرواة و رواية اللغة و مصادر اللغة للدكتور عبد الحميد الشلقاني و البحث اللغوي عند العرب للدكتور احمد مختار عمر.

٢) يُنظَرُ: المدخلُ إلى علمِ اللغةِ/ ١٨٢.

٣) يُنظَرُ: الصاحبيُّ: ٣٥، الخصائصُ: ١/ ٣٩٩-٤٠٠، المزهرُ: ١/ ٢٢١-٢٢٦ [معرفةُ الرديءِ والمذمومِ من اللغاتِ].

إلى بيئاتِها اللغويةِ بَل اكتفَوا بوصفِ هذهِ البيئاتِ بالفصيحةِ دُونَ تحديدِ النَّوعِ اللغويِّ.

من خلالِ هذا العرضِ – وما سبقَهُ من استقراءٍ للجهدِ اللغويِّ عندَ القدماءِ لاسيَّما في كتابِ سيبويهَ–، فإنَّ الباحثَ في التراثِ اللغويِّ لا يعدمُ الفكرَ اللغويَّ الجغرافيَّ عندَ العربِ لأنَّ ثَمَّةَ مَعَالِمَ اعتمدَها القدماءُ في بيانِ النَّوعِ اللغويِّ الفصيحِ إذْ مِنَ المُمكنِ تَوظيفُها والعملُ على تقنينِها وهذا ما يوجِبُ على الباحثِ تدبيرَ المادةِ اللغويةِ مستنداً إلى التحديدِ المكانيِّ باستخدامِ خريطةِ الميدانِ وسيلةً للحصرِ والاستقصاءِ، وهذا مَا يَرتبطُ بأوليةِ الجغرافيةِ اللغويةِ[1]، ومِنَ المُمكنِ الوصولُ إلى التنوعاتِ اللغويةِ في محيطِها الجغرافيِّ العربيِّ في تلكَ الفترةِ (...–١٨٠هـ) من خلالِ النظرِ في ما صنّفه القدماءُ، علماً أنَّ الدرسَ اللغويَّ اللسانيَّ العربيَّ[2] لا يزالُ بَعِيْدَاً كلَّ البُعْدِ عن مَنهجيةِ وعملِ الأطلسِ اللغويِّ، وبالرَغمَ من ذلكَ يمكنُ أنْ نربطَ بين استراتيجيةِ البحثِ في موضوعةِ الأطلسِ اللغويِّ –وهي جمعُ التنوعاتِ اللغويةِ في بيئاتٍ معينةٍ عندَ علماءِ الغربِ فضلاً عن بعضِ المشتغلينَ في اللغةِ العربية[3] – وعملِ علماءِ العربيةِ في بحثِهم اللغويِّ الذي بحثَ في لغةِ العربِ من حيثُ بنيتُها وحركاتُها ومادتُها التي استخدموها وأساليبُها التي جرتْ على ألسنتِهم.

أمَّا من حيثُ الكتابةُ فكان اللغويونَ (الرواةُ) – الذين جمعُوا اللغةَ جُلُّهم يعرفونَ الكتابةَ – يدونونَ عن الأعرابِ ما كانوا يسمعون، قالَ أبو العباسِ ثعلبٌ: «دخلَ أبو عمرو إسحقُ بنُ مُرارٍ البادية ومعهُ دستيجان حبراً، فما خرجَ حتى أفناهما بكتبِ

١) يُنظَرُ: في البلاغةِ العربيةِ (من الجغرافيةِ اللغويةِ إلى الجغرافيةِ الأسلوبيةِ): ١٦٥.

٢) ينظر: الجغرافيةُ اللغويةُ وأطلسُ برجشتراسر، ((د. رمضان عبد التوّاب)) مجلةُ المجسَّم ج(٣٧): ١١٩-١٢٤.

٣) يُنظَرُ: الفصل الأول ((الفكر اللغوي الجغرافي عند العرب)) المبحث الأول: ثانياً: مبادئ علم الجغرافية اللغوية في مباحث المحدثين العرب.

سماعِهِ عن العربِ»[1]، وقد سألَ الكسائيُّ الخليلَ: «من أينَ أخذتَ علمَك هذا؟ فقال: من بوادي الحجازِ ونجدٍ وتِهامةَ، فخرجَ ورجعَ وقد أنفد خمسَ عشرةَ قنينةَ حبرٍ في الكتابةِ عن العربِ سوىٰ ما حَفِظَ»[2]، وقد أخذَ العلماءُ مادةَ بحثِهم اللغويِّ من أفواهِ الأعرابِ عن طريقين، الأول: الرحلةُ إلىٰ البادية والحصولُ علىٰ اللغةِ من أفواهِ الأعرابِ المقيمينَ في كبدِ الصحراءِ، فهذا الخليلُ بنُ أحمدَ[3] يأخذُ علمَهُ من باديةِ الحجازِ ونجدٍ وتهامةَ، وأبو عمرو بنُ العلاءِ الذي جاورَ البدوَ أربعينَ سنةً[4].

ويتضحُ ذلكَ الجهدُ أكثرَ في ما روي عن علماءِ اللغةِ وما حوتْهُ مُصنفاتُهم التي تضمنتْ عباراتٍ توحي بهذا العملِ، وإلىٰ جانبِ ذلكَ هنالكَ أفرادٌ[5] من القبائلِ العربيةِ ساعدوا اللغويينَ في جمعِ الغريبِ من اللغةِ وكان بعضُ هؤلاءِ يتلقونَ أجوراً تتناسبُ مع ما يقدمونَ من معلوماتٍ[6].

أما الطريقُ الثاني فقد تمثلَ بقدومِ الأعرابِ إلىٰ البصرةِ والكوفةِ وكانتِ البصرةُ علىٰ حافةِ الباديةِ يأتي إليها الأعرابُ يقضونَ حاجتَهم في الحاضرة، منهم من يعودُ لوقتِهِ ومنهم من تطولُ إقامتُه ومنهم من يستقرُّ[7]، ومِن هؤلاءِ أفار بنُ لقيطٍ – قيلَ كان يجلسُ علىٰ زبالةٍ عاليةٍ، واجتمعَ إليهِ أصحابُه يأخذونَ عنه[8] وأبو البيداءِ الرياحيُّ – نزلَ البصرةَ وكان يعلّمُ الصبيانَ بأجرٍ، وأبو سِوّارٍ الغَنَويُّ[9] كان فصيحاً أخذَ عنه أبو عبيدةَ وله مجلسٌ مع محمدِ بنِ حبيبِ بنِ أبي عثمانَ المازنيِّ وأبي خَيرةَ

---

١) أنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة: ١/ ٢٢٤.

٢) المصدر نفسه:٢/ ٢٥٨.

٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٨.

٤) يُنظَرُ: مجالس العلماء للزجاجي١٧١.

٥)أبو مالك عمرو بن كركرة أعرابي كان يعلم في البادية وكان يحفظ اللغة كلها. الفهرست١/ ٤٤

٦) يُنظَرُ: اللهجات العربية الغريبة القديمة / ٣٩-٤٠.

٧) يُنظَرُ: رواية اللغة: ٧٠-٧١، ويُنظَرُ: الرواية والاستشهاد باللغة / ٢٢.

٨) الفهرست: ١/ ٤٤.

٩) المصدر نفسه: ١/ ٤٥.

نهشلِ بنِ زيدٍ بدويٍّ من بني عَديٍّ دخلَ الحِيرةَ[1] وكان أبو عمرو بنُ العلاءِ من جلسائِه فقال له ذاتَ مرةٍ: «كيفَ تقولُ: حفرت ارَاتِك؟ فقال: حفرتُ ارَاتِك، قال: فكيف تقولُ: استأصلَ اللهُ عِرقاتهم أو عِرقاتَهم؟ فقال: استأصلَ اللهُ عِرقاتَهُم. فلم يعرفْها أبو عمروٍ وقالَ: لانَ جلدُكَ يا أبا خَيرة، يقولُ: أخطأتَ»[2] وآخرونَ من فصحاء العرب اقتضىٰ جمعهم علىٰ النحو الآتي:

أبو مالكٍ عمروُ بنُ كركرةَ أعرابيٌّ يعلّمُ الناسَ في الباديةِ[3]، أبو عَرارٍ أعرابيٌّ فصيحٌ[4]، أبو زيادٍ الكلابيُّ عبدُ الله بنُ الحرِّ أعرابيٌّ بدويٌّ، أبو الجاموسِ ثورُ بنُ زيدٍ أعرابيٌّ وكان يفدُ البصرةَ، أبو الشمَحِ أعرابيٌّ بدويٌّ نزلَ الحيرةَ شبيلُ بنُ عرعرَ الضبيُّ، أبو عدنان عبدُ الرحمنِ، عبدُ الأعلىٰ أبو ثوابةَ الأسديُّ، أبو شبلٍ العقيليُّ همح بنُ محررٍ البصريُّ من بني أسدِ بنِ خُزيمةَ، أبو محلّمٍ الشيبانيُّ محمدُ بنُ سعدٍ السعديُّ، أبو مسحلٍ عبدُ الوهابِ بنُ حريشٍ، أبو ثروانَ العكليُّ أعرابيٌّ فصيحٌ يعلمُ في الباديةِ، أبو ضمضمٍ الكلابيُّ، أبو عثمانَ سعيدُ بنُ ضمضمَ البهدليُّ، عمروُ بنُ عامرٍ راجزٌ فصيحٌ، جهمُ بنُ خلفٍ المازنيُّ راويةٌ عالمٌبالغريبِ من تميمٍ كان في عصرِ خلفَ الأحمرِ و الأصمعيِّ[5] ،أبو مسهرٍ الإعرابيُّ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ مروانَ[6] الحرمازيُّ، أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عليٍّ قدمَ البصرةَ ونزلَ بها[7]، أبو العميثلِ عبدُ الله بنُ خليدٍ[8] عبّادُ بنُ كسيبٍ من بني عمروِ بنِ جندبٍ من بني العنبرِ [9] الفقعسيُّ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ

---

١) المصدر نفسه: ١/ ٤٥.

٢) مجالس العلماء للزجاجي:٥، وأنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة: ٤/ ١١١-١١٢.

٣)الفهرست :١/ ٤٤، معجم الأدباء: ٤/ ٥٠٩.

٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٤، يُنظَرُ أنباء الرواة :٤/ ١٧٤.

٥) يُنظَرُ: معجم الأدباء: ٢/ ٤٠٢

٦) المصدر نفسه:١/ ٤٧، أنباه الرواة :٤/ ١٧٦.

٧) المصدر نفسه:١/ ٤٨. أنباه الرواة :٤/ ١٤٧.

٨) المصدر نفسه:١/ ٤٨-٤٩ أنباه الرواة:٤/ ١٤٣.

٩) المصدر نفسه:١/ ١٤٩.

الأسديُّ راويةُ بني أسدٍ[1] ابنُ أبي صبحٍ عبدُ اللهِ بنُ عمروٍ أبي صبحٍ المازنيُّ[2] ربيعةُ البصريُّ بدويٌّ تحضَّرَ فيما بعد[3].

نوعُ المادةِ اللغويةِ

تنوعتِ المادةُ اللغويةُ التي جُمعتْ ودُونتْ فيها بعدُ على أربعةِ أنواعٍ:

- النَّوعُ الأولُ: ما يتعلقُ بمعنى العبارةِ، إذْ جُمعتْ هذه المادةُ في وضعٍ خاصٍ وعلى نمطٍ خاصٍ تمثلتْ بالمعجمِ العربيِّ، وأولُ مصنَّفٍ وصلَ إلينا على هذا المنهجِ في جمعِ اللغةِ وضبْطِها كتابُ (العينِ) للخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديِّ (١٨٠هـ)[4].
- **النَّوْعُ الثاني**: ما يتعلقُ بالاستعمالِ اللغويِّ عندَ العربِ، إذْ جُمعتْ هذه المادةُ بجهودِ علماءِ العربيةِ الأوائلِ مِنَ الطَّبقةِ الثالثةِ والرابعةِ، وقامَ سيبويهُ بتصنيفِها وتنسيقِها، فأبدعَ في ذلكَ، وهذه المادةُ المسجَّلةُ عن العربِ التي تتمثلُ في العربيةِ الفصحى قد تنوعتْ من حيثُ الاستعمالُ اللغويُّ بمستوياتِه المختلفةِ إلى نوعين، الأولُ: ما تمثلَ باللغةِ النَّفعيةِ أي الحوارُ اليوميُّ و الأمورُ العامةُ، وهذا الضربُ من الاستعمالِ يطَّردُ ذكرُه في التمثيلِ اللغويِّ و الاستدلالِ على أصلِ الاستعمالِ اللغويِّ الفصيحِ المتمثلِ في النَّوْعِ الثاني أي اللغةُ الأدبيةُ (شعر – نثر) وهذا هو الأكثرُ في مباحثِ القدماءِ من اللغويين العربِ لأنَّ الأصولَ النحويةَ المتمثلةَ بهذا النَّوْعِ وردتْ بكثرةٍ في

---

١) المصدر نفسه:١/ ١٤٩، أنباه الرواة :٣/ ٩.

٢) المصدر نفسه:١/ ٤٩.

٣) المصدر نفسه:١/ ٥٠، أنباه الرواة :٢/ ٩.

٤) يُنظَرُ: الصحاح ومدارس المعجمات العربية/ ٧٣-٨٦. وعلم الدلالة والمعجم العربي / ١١٦، أصالة علم الأصوات عند الخليل:١٤.

المستوياتِ اللغويةِ و بأساليبِها المختلفةِ[1].

- **النَّوْعُ الثالثُ**: ما يتعلقُ بالمفرداتِ وتفسيرِها على غيرِ العادةِ، وكما تيسّرَ للعالِمِ اللغويِّ سماعُها وتسجيلُها دونَ مراعاةٍ في ذلكَ لترتيبٍ أو تنظيمٍ، كمجالسِ العلماءِ للزَّجَّاجيِّ، ومجالسِ ثعلبٍ، وكتبِ الأمالي.
- **النَّوْعُ** الرابعُ: ما يتعلقُ بالمعاني العامةِ وهذا الجمعُ يندرجُ تحتَ النَّوْعِ الأولِ ويسمّى بمعاجمِ المعاني كالمخصَّصِ لابنِ سيدةَ وغيرِه ممن صنَّفوا في هذا المعنى.

موقفُ القدماءِ العرب من المادةِ اللغويةِ:

لاشكَّ أن جهدَ اللغويِّ قديماً كانَ منصبَّاً على جمعِ المادةِ اللغويةِ من خلالِ طرحِ الأسئلةِ وتسجيلِ المادةِ المرويةِ والتثبتِ من صحتِها من خلالِ طريقةِ طرحِ السؤالِ، كما في نصِّ ابنِ جنّي يقولُ: «سألتُ يوماً أبا عبدِ الله محمدَ بنَ العسَّافِ العقيليَّ الجوثيَّ التميميَّ فقلتُ لهُ: كيفَ تقولُ: ضربتُ أخوكَ؟ فقالَ: أقولُ: ضربتُ أخاكَ. فأدرتُه على الرفعِ فأبى، قالَ: لا أقولُ: أخوكَ أبداً. قلتُ: فكيفَ تقولُ: ضربَني أخوك؟ فرفعَ، فقلتُ: ألستَ زعمتَ أنكَ لا تقولُ: أخوكَ أبداً؟ فقالَ: أيش هذا؟ اختلفتْ جهتا الكلامِ»[2]، ومثلُ ذلكَ في توجيهِ الأسئلةِ والتحري عن الصوابِ الكثيرُ في ما روي عن علماءِ العربيةِ باعتبارِهم مسجلين للغةِ على شكلِ رواياتٍ لغويةٍ وتحديدِ بيئاتٍ بعينِها «كتميمٍ والحجازِ وهذيلٍ وأسدٍ وطيّءٍ» إذْ تَهيأَ لهم من الرحلةِ إلى الباديةِ والسماعِ من الأعرابِ في مواطنِهم وديارِهم معرفةِ الجغرافيةِ اللغويةِ، فَضلاً عَنْ تَحديدِ النَّماذجِ اللغويةِ التي لم يُقِرَّهَا الاستعمالُ اللغويُّ[3] إذْ مِنَ الكلامِ مَا لا يُدرى أَنَّهُ

---

١) يُنظَرُ: القاعدة النحوية:٦٩.

٢) الخصائص: ١/ ١٢١.

٣) ينظر : مصنف ابن خالويه (ليس في كلام العرب) (ودراسة د. محمود سليمان ياقوت (التَّراكيب غير الصحيحة نحوياً في الكتاب لسيبويه)

كذا حتىٰ تَعْلَمَ أنَّ العربَ تكلَّمُ بِهِ وإلاّ فَلا يُؤخذُ لغةً[1]، إلاّ أنَّ هـذهِ الآثـارَ اللغويـةَ ظلتْ كما هي إلىٰ فترةٍ غيرِ بعيدةٍ[2]، حتىٰ حُدِّدَ النَّوْعُ اللغويُّ في البيئةِ اللغويةِ المعينـةِ، وهذا – النَّوْعُ اللغويُّ – لم يتخطَّ حدودَ تلكَ البيئةِ اللغويةِ وتلكَ اللغةَ التي تكلمتْ بها العربُ في ذلكَ الزمنِ، إذ نجدُ القائمينَ علىٰ هذه البحوثِ والدراساتِ غيرَ آبهينَ باللغاتِ المحكيةِ في تلكَ الفتراتِ المتزامنةِ مبتعدينَ عن مراحلِ تطـورِ اللغـةِ وعـدمِ مراقبةِ ما كان غيرَ مستعملٍ من اللغةِ واستُعمِلَ فيما بعدُ في اللغةِ المحكيةِ، علىٰ الرغمِ من وجودِها فما تعرضَ له القدماءُ من الوصفِ والتصنيفِ ومنه كتابُ سيبويهَ حافلٌ بهذهِ المادةِ اللغويةِ وتلك المروياتِ التي لا تجيزُ بعضَ الاستعمالاتِ اللغوية.

التحديدُ الجغرافيُّ في البحثِ اللغويِّ عندَ العربِ

تُعَدُّ الخريطةُ اللغويةُ أداةَ الجغرافيِّ اللغويِّ ولا تجوزُ كتابةُ الجغرافيةِ اللغويةِ الحديثةِ دونَ الاستعانةِ بالخريطةِ، والعربُ الأوائلُ لم يكنْ لهم في رسمِ الخرائطِ معرفةٌ تُذكَرُ إلاّ أنّهم اعتمدُوا التصويرَ الذي يحكي موضعَ الإقليمِ ثم ذِكْرُ ما يحيطُ به من الأماكنِ[3].

وقد أسهمَ الجهدُ اللغويُّ العربيُّ – المتمثِّلُ بالنَّوْعِ الرابعِ من المادةِ اللغويةِ – في رسمِ المجالِ اللغويِّ لجزيرةِ العربِ تحتَ عنواناتهِ الآتيةِ:

الأنواءِ والحيواناتِ والرياحِ والسحابِ والمطرِ، وجزيرةِ العربِ... وقد ساهمتْ

---

١) يُنظرُ الكتابُ٣/ ٥٣٩، ٤/ ١٢٩.

٢) ظهرتْ دراساتٌ ورسائلُ وبحوثٌ عنيتْ بدراسةِ لغاتِ القبائلِ العربيةِ منها((أسدٍ – هذيلٍ – باهلة – طيء)).

٣) يُنظَرُ: الخصائص العلمية للجغرافية العربية الإسلامية القديمة / ١٦٨.

هذه الرسائلُ في ظهورِ المعاجمِ العربيةِ الجامعةِ فيما بعدُ، التي تمثَّلَ بعضُها بوصفِ البلدانِ والأقاليمِ.

إنَّ اللغويينَ اعتمدُوا في وصفِهم الجغرافيةَ اللغويةَ النسبةَ إلى البيئةِ اللغويةِ أي القبيلة[1]، دونَ التصورِ الذي اعتمدهَ أصحابُ المعاجمِ الذي اعتُمِدَ فيما بعدُ بشكلٍ واضحٍ عند المَقْدِسِيِّ في كتابِه (أحسنُ التقاسيمِ) والهمدانيِّ في وصفِ الجزيرةِ، اللذَينِ كان لهما جُهدٌ لغويٌّ تمثَّلَ في وصفِ لغةِ الأقاليمِ التي تمَّ وصفُها.

يقولُ المقدسيُّ في إقليمِ العربِ: «وأهلُ هذا الإقليمِ لغتُهمُ العربيةُ إلاّ بصَحَار فإنَّ نداءَهم وكلامَهم بالفارسيةِ وأكثرُ أهلِ عدنٍ وجدَّةَ فُرْسٌ إلاّ أنّ اللغةَ عربيةٌ، وبطرفِ الحميريِّ قبيلةٌ من العربِ لا يُفهمُ كلامُهم... وجميعُ لغاتِ العربِ موجودةٌ في بوادي هذهِ الجزيرةِ إلا أنَّ أصحَّ لغةٍ بها لغةُ هُذَيْلٍ ثم النجديين ثم بقيةِ الحجازِ إلاّ الأحقافَ فإنّ لسانَهم وحشٌ»[2].

وقالَ في لغةِ إقليمِ العراقِ (الكوفةِ، البصرةِ، واسطَ، بغدادَ) بعدَ الوصفِ: «ولغاتُهم مختلفةٌ أصحُّها الكوفيةُ لقربِهم من الباديةِ وبُعدِهم عن النبطِ، ثم هي بعدَ ذلكَ صفةٌ فاسدةٌ بخاصةٍ بغدادُ، وأمّا البطائحُ فنبطٌ لا لسانَ وعقلَ»[3]، وقال الهمدانيُّ في وصفِ لغاتِ أهلِ هذهِ الجزيرةِ «أهلُ الشحرِ والإسعاءِ ليسوا بفصحاءَ مهرة غَتمٌ يشاكلونَ العجمَ، حَضْرَمَوْتُ ليسوا بفصحاءَ، ربَّما كانَ فيهم الفصيحُ وأفصحُهم كِنْدَةُ وهمدانُ وبعضُ الصدفِ وسروٍ ومذحجٍ ومأربَ وبيحان وحريب فصحاءُ ورديُّ اللغةِ منهم قليلٌ، سرو حِمْيَرُ، وجعدةُ ليسوا بفصحاءَ في كلامِهم شيءٌ من التحميرِ ويجرّونَ في كلامِهم ويحذفونَ فيقولونَ يا بنَ مُعَم في يا بنَ العمِّ...»[4]،

---

١) يُنظَرُ: دراسة الدكتور خالد عبد الكريم جمعة : شواهد الشعر في كتاب سيبويه.

٢) أحسن التقاسيم: ٩١.

٣) أحسن التقاسيم: ١١٤.

٤) صفة جزيرة العرب:١٢٤.

أما القبائلُ التي تقعُ خارجَ إقليمِ اليمنِ فقد تحدثَ عنها دونَ تفصيلٍ واكتفى بالتحديدِ العامِّ إذ قالَ «أما العُروضُ ففيها الفصاحةُ ما خلا قُراها وكذلكَ الحجازُ فنجْدُ السُفلى فإلى الشامِ وإلى ديارِ مضرٍ وإلى ديارِ ربيعةَ فيها الفصاحةُ إلاّ في قُراها»[1].

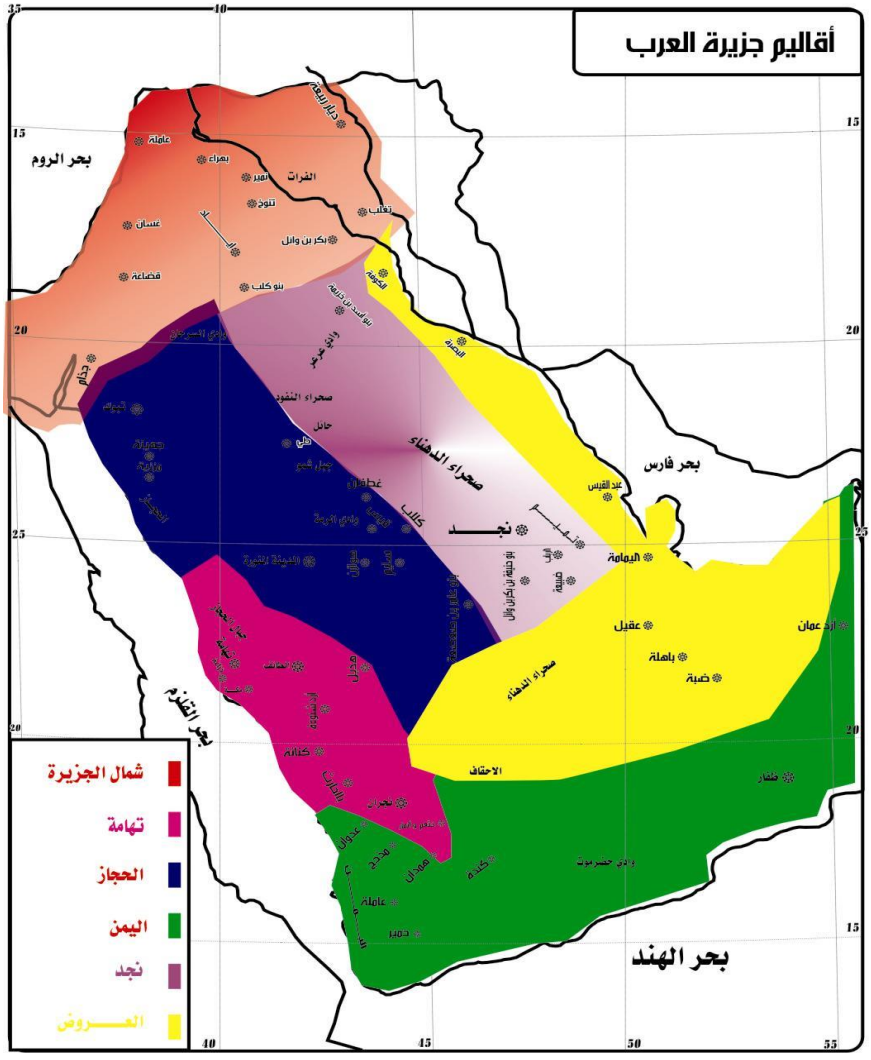

١) صفة جزيرة العرب:١٢٦.

ففي هذهِ البيئةِ اللغويةِ أَجهَدَ العُلَمَاءُ أنفسَهم فَشَـرَّقُوا وغَرَّبوا وتحمّلوا الكثيرَ ولم يبالوا بما نالهم من نَصَبٍ أو مخمصةٍ وسمعوا من أبناءِ هذه القبائلِ وشافَهوهم في أوديتِهم وأخبيتِهم ومراعيهم وأسواقِهم ومجتمعاتِهم، فأخذوا عن القبائلِ البعيدةِ من أطرافِ الجزيرةِ والباقيةِ في سرتِها من جُفاةِ الأعرابِ وأهلِ الطبائعِ المتوقحةِ[1]، وقد ربطَ العلماءُ العربُ هذه البيئةَ بفكرةِ البداوةِ والحضارة، فكلما كانتِ القبيلةُ بدويةً أو أقربَ إلى حياةِ البداوةِ كانت لغتُها أفصحَ والثقةُ بها أكبرَ وكلما كانت متحضرةً أو أقربَ إلى حياةِ الحضارةِ كانت لغتُها محلَّ شكٍّ ومثارَ شبهةٍ لذلك تجنبوا الأخذَ عنها[2]، ونجدُ فكرتُهم التي نقلَها الفارابيُّ في أنَّ الانعزالَ في كبدِ الصحراءِ، وعدمَ الاتصالِ بالأجناسِ الأجنبيةِ يحفظُ للغةِ نقاوتَها ويصونُها عن أي مؤثرٍ خارجيٍّ وأنَّ الاختلاطَ يُفْسِدُ اللغةَ ويَنْحَرِفُ بالألسنةِ[3]، أضحتْ مثارَ جَدَلٍ لدى الدارسين والباحثين وبياناً لفكرةٍ من تشبثَ بالتوزيعِ الجغرافيِّ الذي ارتكزَ على تلك الأسسِ السابقة، نطرحُ نصَّ الفارابيِّ الذي يُعَدُّ في نَظَرِ بعض الدارسين وثيقةً مُهمةً[4]، في تحديدِ القبائلِ التي يُستَشهَدُ بِكَلامِها والتي لا يُسْتَشْهَدُ بِكلامِها، قالَ: «كانت قريشٌ أجودَ العربِ انتقاءً للأفصحِ من الألفاظِ، وأسهلِها على اللسانِ عند النطقِ، وأحسنِها مسموعاً، وإبانةً عما في النفسِ، والذين عنهم نُقِلَت اللغةُ العربيةُ وبهم اقتُدي وعنهم أُخَذ اللسانُ العربيُّ من بين قبائلِ العربِ هم: قيسٌ وتميمُ وأسدٌ، فإنَّ هؤلاءِ هم الذينَ عنهم أكثرُ ما أُخذ ومعظمُه، وعليهم اتُكِلَ في الغريبِ وفي الإعرابِ

---

١) يُنظَرُ: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: ١١٢، في التطور اللغوي (شاهين)/ ٤٧، ولغات العرب وأثرها في توجيه النحو/ ٦٠-٦١.

٢) يُنظَرُ: البَحثُ اللغوي عند العرب: ٣٧-٣٨، لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي/ ٥٨، القاعدة النحوية تحليل ونقد:٥٥ – ٥٦.

٣) يُنظَرُ: كتاب الحروف للفارابي:١٤٥، صبح الأعشى: ١/ ١٩٦، والبَحثُ اللغوي عند العرب: ٣٨.

٤) يُنظَرُ: البَحثُ اللغوي عند العرب: ٣٨.

والتصريفِ، ثُمَّ هذيلٌ وبعضُ كنانةَ وبعضُ الطائيين، ولم يؤخذْ عن غيرِهم من سائرِ قبائلِهم. وبالجملةِ فإنَّهُ لم يؤخذْ عن حَضَرِيٍّ قَطُّ، ولا عن سكانِ البراري ممن كانَ يسكُنُ أطرافَ بلادِهم «التي تجاورُ سائرَ الأممِ الذينَ حولَهم»[1]، فإنَّه لم يُؤخذْ لا من لخْمٍ ولا من جُذام «فإنَّهم كانوا مجاورين»[2]. لأهلِ مصرَ و القبطِ، ولا من قُضاعةَ ولا «من»[3] غسانٍ ولا «من»[4] إيادٍ «فإنَّهم كانوا مجاورينَ»[5] لأهلِ الشامِ و أكثرُهم نصارىٰ «يقرأون في صلاتِهم بغيرِ العربيةِ»[6]، ولا من تغلبَ ولا «النمرِ»[7]، فإنَّهم كانوا بالجزيرةِ مجاورين لليونانـ«ـيةِ»[8] ولا من بكرٍ «لأنَّهم كانوا مجاورينَ للقبطِ و الفرسِ»[9]، و لا من عبدِ القيسِ « »[10] لأنَّهم كانوا سكانَ البحرينِ مخالطينَ للهندِ و الفرسِ، ولا من أزدِ عُمان «لمخالطتِهم للهندِ و الفرسِ»[11] ولا من أهلِ اليمنِ «أصلاً»[12] لمخالطتِهم للهندِ و الحبشةِ «ولولادةِ الحبشةِ فيهم»[13]، ولا من بني حنيفةَ وسكانِ اليمامةِ ولا من ثقيفٍ و «سكانِ»[14] الطائفِ لمخالطتِهم تجارَ «الأممِ»[15]

---

١) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((... المجاورة لسائر الأُمم الذين حولهم)).
٢) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((لمجاورتهم أهل مصر و القبط)).
٣) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((... وغسان و إياد)).
٤) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((لمجاورتهم أهلَ الشام)).
٥) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((لمجاورتهم أهل الشام).
٦) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((... يقرأون بالعبرانية)).
٧) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((... اليمن ...)).
٨) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((اليونان)).
٩) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢((لمجاورتهم للقبط و الفرس)).
١٠) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((و أزد عُمان)).
١١) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهندِ و الفرسِ)).
١٢) ساقطة في المزهر : ١ / ٢١٢
١٣) ساقطة في المزهر : ١/ ٢١٢.
١٤) العِبارَةُ في المزهر ((أهل الطائف)).
١٥) العِبارَةُ في المزهر : ((... اليمن)).١/ ٢١٢.

المقيمين عندَهم، ولا من حاضرةِ الحجازِ لأنَّ الذينَ نقلوا اللغةَ صادفوهم حين ابتدأوا ينقلونَ لغةَ العربِ قد خالَطوا غيرَهم من الأمم وفسدتْ ألسنتُهم، والذي نقل اللغةَ واللسانَ العربيَّ عن هؤلاءِ وأثبتَها في كتابٍ وصَيَّرَها عِلماً وصناعةً هم أهلُ الكوفةِ والبصرةِ فقط من بين أمصارِ العربِ، وكانت صنائعُ هؤلاءِ التي يعيشون منها الرعايةَ والصيدَ واللصوصيةَ وكانوا أقواهم نفوساً، وأقساهم قلوباً، وأشدَّهم توحشاً وأمنعَهم جانباً، وأشدَّهم حميّةً، وأحبَّهم لأنْ يَغلِبوا ولا يُغلَبوا، وأعسرَهم انقياداً للملوكِ وأجفاهم أخلاقاً وأقلَّهم احتمالاً للضيمِ والذلةِ»[1].

وَقَدْ تَبَنَّىٰ ابنُ خَلدونٍ في مُقَدِّمَتِهِ الواقعَ الجغرافيَّ –الَّذي أقرَّهُ الفارابيُّ– بِشَيءٍ مِنَ الوَاقعيَّةِ في وَصفِهِ لبَعْضِ البيئاتِ اللغويةِ مِثْلَ مُضَرٍ مِنْ قُرَيشٍ وكِنَانَة وثَقيف وَبَني أسدٍ وهُذيلٍ ومَنْ جَاوَرَهُم مِنْ خُزَاعة إذْ أنَّ سُكَّانَ هَذهِ القَبَائِلَ حَسْبَ وَصْفِهِ كانُوا أهلَ شَظَفٍ وَمَواطِنَ غَيْرِ ذَاتِ زرعٍ ولا ضرعٍ[2].

---

١) كتابُ الحروفِ/ ١٤٥، ويُنظَرُ: المزهر: ١/ ٢١١-٢١٢، وصبح الأعشىٰ: ١/ ١٩٦، ولغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي / ٤٦.

٢) مُقَدِّمةُ ابنِ خلدون: ١٢٩-١٣٠، ٥٥٥.

ينظر الشكل رقـ(١)ـم «أطلس اللغة عند ابن خلدون» [1]

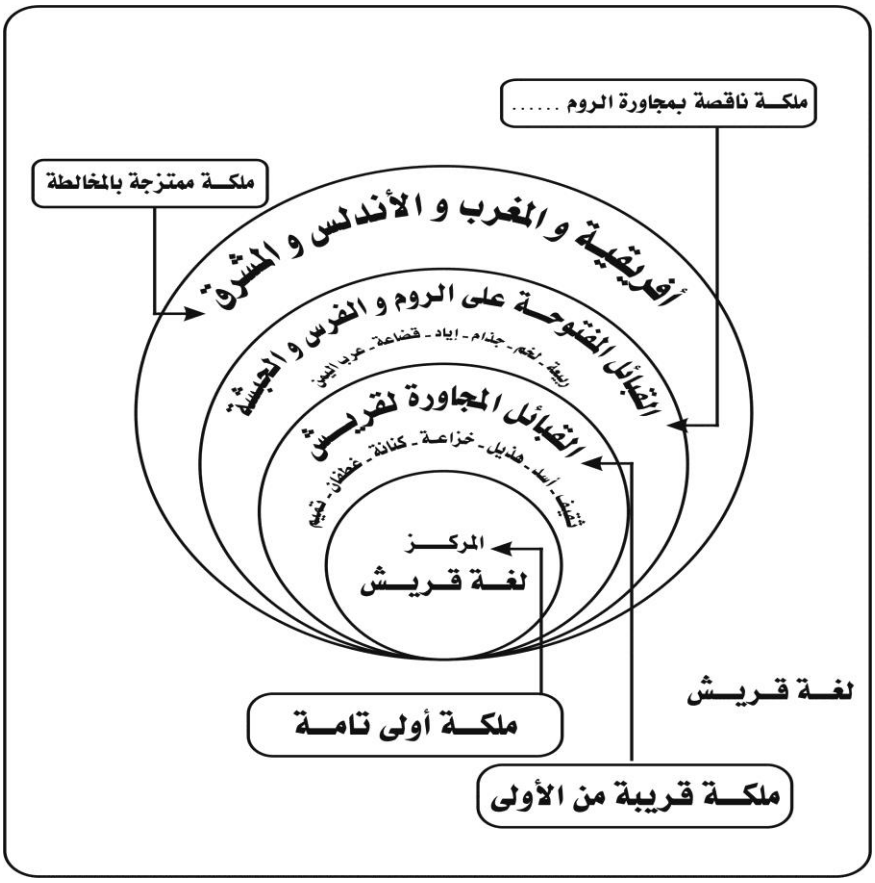

وقِيْلَ إنَّ عِلَّةَ هذا التقسيمِ –على مَا نَظُنُّ– مَا عَرَضَ لِلُغَاتِ الحاضرةِ وأهلِ المَدَرِ مِنَ الاختِلالِ والفَسَادِ والخَطَلِ – وَهَذا قَدْ ظَهَرَ في وَقْتٍ مُتَأخرٍ نسبَةً لبداياتِ الدَّرسِ اللغويِّ عندَ العربِ –ولو عَلِمَ أنَّ أهلَ المَدينةِ باقونَ على فَصَاحتِهم، وَلَمْ يَعترِضْ شيءٌ مِنَ الفسادِ للغتِهم لوجبَ الأخذُ عنهم كما يُؤخذُ عَنْ أهلِ الوَبَرِ، وكذا لَو فَشا في أهلِ الوَبَرِ مَا شَاعَ في لُغَةِ أهلِ المَدَرِ مِن اضطِرَابِ الألسنةِ وخبالِها،

١) مُقَدِّمةُ ابنِ خلدون:٥٥٥، وينظر: في اللسان العربي و إشكالية التلقي:١٥٤(اللغة و الروابط اللهجية عند ابن خلدون لمحسن أبو عزيزي).

وانتقاصِ عادةِ الفصاحةِ وانتشارِها لَوَجَبَ رفضُ لُغَتِهَا، وَتَرَكُ تلقِّي ما يَرِدُ عَنها[1].

ويَظهرُ أنَّ هذا التحديدَ -الَّذي أقرَّهُ الفارابيُّ- لَمْ يَكُنْ مَقبولاً عِندَ بَعْضِ الدَّارسين[2]، لأنَّ الأساسَ الَّذي قامَ عَلَيهِ التحديدُ وهو الانعزالُ في كَبِدِ الصَّحراءِ وعَدَمُ الاتصال بالأجانبِ قَدْ تَبَدَّدَ إذا مَا عَلِمْنَا أنَّ قُرَيْشَاً، الَّتي وَصَفَهَا في أول نصِّهِ، كانَ لها في الجاهليةِ مِن اتصالٍ ببلادِ الشامِ واليمنِ وبالعراقِ وبالحبشةِ فَضْلاً عَن وُجودِ جالياتٍ أعجميةٍ وعددٍ كبيرٍ مِنَ الرَّقِيقِ بينهم، وَمَا وجودُ المُعَرَّبَاتِ في لُغَتِهم إلا حُجَّةً على تأثرِ لسانِهم بالأعاجمِ وأخْذِهم منهم[3].

الكياناتِ اللغويةِ عندَ العربِ

يتمثلُ هذا المصطلحُ في جملةٍ من الظواهرِ اللغويةِ التي تُنسَبُ إلى بيئاتٍ لغويةٍ كتميمٍ وهذيلٍ وأسدٍ وطيءٍ وباقي القبائلِ العربيةِ التي مثّلناها في أعلاه:

وتمثيلاً لذلكَ ظاهرةُ الكشكشةِ التي نُسبتْ في كتابِ سيبويهَ إلى «ناسٍ كثيرٍ من تميمٍ وناسٍ من أسدٍ»[4] ونُسبتْ عند المبرَّد[5] إلى تميمٍ، وعندَ الزمخشريِّ إلى تميمٍ[6] ونسبَها ابنُ فارسٍ إلى أسدٍ[7] ونسبَها ثعلبٌ إلى ربيعةَ[8] والسيوطيُّ إلى مضرٍ[9]، ونسبَها ابنُ جنّيٍّ إلى ناسٍ من العربِ[10] مجهولينَ وفي موضعٍ آخرَ إلى ربيعةَ[11].

---

١) يُنظَرُ: الخصائصُ: ١/ ٣٩٣.
٢) الدكتور مهدي المخزومي/ مدرسةُ الكوفةِ: ٧٣-٧٧.
٣) يُنظَرُ: المفصّلُ في تاريخِ العربِ قبلَ الإسلامِ: ٨/ ٦٧٠.
٤) الكتاب: ٤/ ١٩٩.
٥) الكامل في اللغة والأدب:٤٤٧.
٦) المفصل في صنعة الأعراب: ٤٦٣.
٧) الصاحبي في فقه اللغة: ٥٣.
٨) مجالس ثعلب:ج١:٨١
٩) المزهر: ١/ ٢٢١.
١٠)سر صناعة الأعراب: ١/ ٢١٩.

ومثيلُها ظاهرةُ الإدغامِ إذ قالَ سيبويهُ: (وتدَ) دونَ إدغامٍ لغةُ الحجازِ وهي الجيدةُ ولكنَّ بني تميمٍ يسكنّونَ التاءَ ويُدْغمونَها في الدال[2]، وقيلَ إنَّها لغةٌ لبني بكرِ بنِ وائلٍ وأناسٍ كثيرٍ من تميمٍ[3].

وهذانِ النصَّانِ هما مثالانِ على ما يُطلَقُ عليه عند المحدثينَ مجموعةَ النقاطِ السكانيةِ التي يجمعُها عددٌ من ظواهرِ الاستعمالِ اللغويِّ.

مناطقُ الكياناتِ اللغويةِ عندَ العربِ:

شرعَ اللغويونَ العربُ في تحديدِ الحقلِ اللغويِّ الذي يمثلُ العربيةَ الفُصحى من حيثُ التنوعُ الإقليميُّ – وهذا ما سنأتي عليه فيما بعد- الذي تمثلتْ بهِ و وصفتْ بأنَّها لغةٌ لقومٍ ما حسبَ انتمائِها الجغرافيِّ. إذ شكلتْ هذهِ اللغةُ المادةَ الصالحةَ لبناءِ القواعدِ اللغويةِ ذاتِ السلوكِ المتماثلِ نسبياً أو المتقاربِ إلى درجةِ التماثلِ و ما تفرَّدَ من البيئاتِ اللغويةِ باستعمالٍ خاصٍّ وهذا ما ينعكسُ على القاعدةِ النحويةِ ويجعلُها في موضعٍ خاصٍّ يميزُها عما سواها، أو ما يترشحُ من ظواهرَ لغويةٍ تنتمي إلى مراحلَ متقدمةٍ من عمرِ اللغةِ وقد عكسَ هذا التنوعُ الإقليميُّ بفرعيهِ (التنوعِ الإقليميِّ الضيقِ و التنوعِ الإقليميِّ الواسعِ) مناطقُ الكياناتِ اللغويةِ عندَ العربِ إلى:

---

١) الخصائص:١/ ٣٨٩-٤٠٠.

٢) يُنظَرُ: الكتاب ٤/ ٤٨.

٣) يُنظَرُ: شرح الشافية ٣/ ١٨٣-١٨٤ وشرح شواهد الشافية ٤/ ٥٩٣ علماً أن الشاهد للأخطل غياث بن غوث التغلبي قال:

وذكر غدانة عدَّنا مُرنمة من الحبلق تبني حولها الصيرُ عدانا: أصلها عِتــدان

١. منطقةُ المركــز:

لقد حدَّدَ علماءُ اللغةِ المناطقَ اللغويةَ ذاتَ السلوكِ اللغويِّ المتماثلِ نسبياً، وهذا ما يطلقُ عليهِ عندَ الغربيينَ مركزَ الهيبةِ اللغويةِ Linguistic prestige center [١]، وتمثلتْ هذهِ المنطقةُ بما نُقلَ عن أبي عمروِ بنِ العلاءِ قال المبردُ: «وحدَّثَني هارونُ عن نصرِ بنِ عليٍّ عن الأصمعيِّ قال سمعتُ أبا عمرو بنَ العلاءِ يقولُ: أفصحُ الناسِ: سافلةُ قريشٍ وعاليةُ تميمٍ»[٢] وقد أوردَه ابنُ فارسٍ بقولِ أبي عمروِ بنِ العلاءِ «أفصحُ الناسِ عُليا تميمٍ وسُفلى قيسٍ»[٣]، وقالَ أبو زيدٍ: «أفصحُ الناسِ سافلةُ العاليةِ وعاليةُ السافلةِ»[٤]، يعني عَجُرَ هوازنَ، قالَ: ولستُ أقولُ«قالتِ العربُ إلاّ ما سمعتُ منهم، وإلاّ لمْ أقلْ (قالتِ العربُ) وأهلُ العاليةِ أهلُ المدينةِ ومَن حولَها ومَن يَليها ودَنا منها...»[٥]، والعجرُ من هوازنَ هم الذينَ يقالُ لهم عُليا هوازنَ، وهي خمسُ قبائلَ أو أربعُ، منها سعدُ بنُ بكرٍ وجشمُ بنُ بكرٍ ونصرُ بنُ معاويةَ وثقيفٌ[٦].

وتمثيلاً لهذا التحديدِ قولُهم في لغةِ تميمٍ ولغةِ الحجازِ، وكلاهما لُغتانِ تحويانِ ظواهرَ لغويةً تختلفُ عما سواها، ومنها يخرجُ الابتكارُ اللغويُّ إلى باقي المناطقِ اللغويةِ.

---

١) يُنظَرُ: أسس علم اللغة: ١٩٥.

٢) الفاضل: ١١٣.

٣) الصاحبي في فقه اللغة: ٤٠

٤) العمدة ١/ ٨٨-٨٩، وينظر الصاحبي في فقه اللغة: ٤٠ .

٥) العمدة: ١/ ٨٨-٨٩.

٦) الصاحبي في فقه اللغة: ٤١.

٢. المنطقـةُ الانتقاليـةُ

تمثلتْ هذهِ المنطقةُ عندَ اللغويينَ بمنطقةِ الحجازِ ومنطقةِ العروضِ ونجدٍ، إذْ نجدُ في هذهِ الأقاليمِ عدداً لا بأسَ بهِ من القبائلِ ذاتِ الاستعمالاتِ المتقاربةِ إنْ لَمْ تَكُن مُتَطَابِقةً كلَّ المطابقةِ ومن استعمالاتِ العربِ في هذهِ البيئةِ اللغويةِ على سبيلِ المثالِ و التعريفِ بهذا المصطلحِ، تحقيقُهم الهمزةَ في كلامِهم، و الهمزةُ منْ أثقلِ الحروفِ و أبعدِها مدرجاً صوتياً عن الفمِ، وقد نُقلَ عن بعضِ تميمٍ و أسدٍ وقيسٍ[١] وأهلِ الحجازِ[٢] تحقيقُهم نبيء و بريئة وقالَ سيبويهُ: «وقد بلَغَنا أن قوماً من أهلِ الحجازِ من أهلِ التحقيقِ يحققونَ نبيء و بريئة»[٣] ومن الاستعمالاتِ المتقاربةِ كسرُ عينِ الفعلِ (يَعْكِفُ) في المضارعِ عندَ بني أسدٍ لأنَّهُ مفتوحُ العينِ في الماضي (عَكَفَ) و الحجازيون يقولونَ فيهِ «عَكَفَ يَعْكُفُ»[٤].

أمّا من حيثُ التماثُلُ قولُهم –أسد و أهل الحجاز– في الفعلِ (قنطَ) (يَقْنِطُ) بكسرِ العينِ في المضارعِ و العربُ تجعلُه منفتحَ العينِ[٥] ومن الاستعمالاتِ المتماثلةِ قولُ أزدِ شنوءةٍ و أسدٍ عُجَّاب وكُبَّار بتضعيفِ العينِ من بناءِ (فُعال) (فُعَّال)[٦].

---

١) ينظر: الفصيح في اللغة و النحو: ٣٥٧.

٢) الكتاب:٣/ ٥٥٥.

٣) المصدر نفسه، ٣/ ٥٥٥وينظر: قراءة بن كثير المكي القرشي ((وكشفت عن سأقيها)) النمل:٤٤، ينظر: الكشاف٣/ ٣٧٤.

٤) ينظر: المقتبس من اللهجات العربية٦٨.

٥) المصدر نفسه٦٩.

٦) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية١٧٢.

٣. الجزرُ اللغويةُ، أو ما يُعرَفُ بمصطلحِ التعرفِ اللغويِّ[١]
Language identification

لَقَدْ وَقَفَ عُلماءُ اللغَةِ علىٰ بعضِ الظواهرِ اللغويةِ مِنْ نَوعٍ خَاصٍ استعملتهُ بعضُ القبائلِ العربيةِ، كاستعمالِ قبيلةِ طيءٍ (ذو) اسماً موصولاً، وقد شاعَ استخدامُ (ذو) هذهِ في كلامِ أهلِ طيءٍ اسماً موصولاً عاماً للمفردِ والمثنىٰ والجمعِ، والمذكرِ والمؤنثِ، بصورةٍ واحدةٍ لا تتغيرُ في كلِّ ذلكَ، وهي كثيرةُ الورودِ بهذهِ الصورةِ في أشعارِ طيءٍ[٢]، ومثلُ هذهِ الظاهرةِ فتحُ نونِ المثنىٰ مع الياءِ[٣] إذ سُجِّلَتْ هذهِ الظاهرةُ عن الكسائيِّ لبني زيادِ بنِ فقعسٍ[٤] وكذلكَ سُجِّلَ عن بني الحارثِ بنِ كعبٍ جعلُهم الاثنينِ من الأسماءِ في رفعِها و نصبِها و خفضِها بالألفِ[٥]. وسجلَ عن كنانةَ قولُهم: (في كلا الرجلينِ) و (رأيتُ كِلَي الرجلينِ) و (مررت بِكِلَي الرجلين) إذ مضوا علىٰ قياسِ الاثنينِ من الأسماءِ في النصبِ و الجرِّ و العربُ تقولُ في كلا الرجلينِ في الرفعِ و النصبِ و الجرِّ[٦]. سجلَ عن بعضِ العربِ أنَّهم يقفونَ علىٰ التاءِ الاسميةِ وهذا ما سجَّلَهُ أبو الخطابِ و لم يصرِّحْ به[٧] وقد ثبتَ فيما بعدُ بأنَّها لغةُ لطيءٍ يقولونَ

---

١) ينظر: أسس علم اللغة / ١٩٤.

٢) يُنظَرُ: بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٢-٢٥٨، وينظر اللهجات العربية القديمة في غرب جزيرة العرب٣٧٣ - ٣٧٥.

٣) الفصيح في اللغة و النحو:٢٢٨.

٤) وهم بنو فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب٣٥٣.

٥) ينظر: معاني القرآن:٢/ ١٥٧، وينظر: علل التثنية:٥٧ - ٥٨

٦) معاني القرآن٢/ ١٥٧.

٧) ينظر: الكتاب ٤/ ١٦٧.

في الوقفِ: (هذهِ امرأت وهذه جاريت) فيصلونَ بالتاءِ ويقفونَ بالتاءِ[1]. ونقلَ عن الفيوميِّ أحمدَ بنِ عمرَ ت(٧٧٠هـ) أنها لغةُ لحميرٍ[2] يقولونَ تمرت و طلحت، و النظرُ في ذا الاستعمالِ يرجعُ إلى اللغةِ اليمانيةِ. وينطبقُ هذا المصطلحُ على الكثيرِ من الظواهرِ اللغويةِ التي تفردتْ بها بعضُ البيئاتِ اللغويةِ.

٤.منطقةُ المخلفاتِ اللغويــةِ:

حدَّدَ علماءُ العربيةِ المناطقَ التي تحتفظُ بجملةٍ من الخواصِّ اللغويةِ التي تنتمي إلى مراحلَ زمنيةٍ متقدمةٍ، إذْ تعدُّ ظاهرةُ الاستنطاءِ – تحويلُ العينِ الساكنةِ إلى نونٍ إذا جاورتِ الطاءَ – فـلغةُ أهلِ اليمنِ من تلكَ المناطقِ التي تقعُ في دائرةِ هذا المصطلحِ، إذْ استُعمِلَ الفعلُ(أنطى) بدلَ الفعلِ (أعطى) كما يبينُ التوزيعُ الجغرافيُّ لمواطنِ النطقِ بها في الشمالِ – سعدُ بنُ بكرٍ، هذيلٌ، الأزدُ، قيسٌ[3]– إذ انتقلتْ هذهِ الصيغةُ من الجنوبِ من بلادِ اليمنِ[4]، إلى قبائلِ الشمالِ، ويرى أحدُ الباحثينَ أنَّ الفعلَ (أنطى) مأخوذٌ من طريقِ النحتِ من العبريةِ (נ ת ן) والسريانيةِ فأُخذتْ فاءُ الفعلِ من العبريةِ والسريانيةِ وبقيتْ عينُه ولامُه كما هي في العربيةِ[5]، وإلى جانبِ ذلكَ بالإمكانِ أنْ نعدَّ كلَّ ظاهرةٍ لغويةٍ لها جذورٌ في اللغاتِ الساميّةِ (الجزريةِ) جزءاً من منظومةِ هذا المصطلحِ العلميِّ.

---

١) ينظر: الوقف في العربية: ٦٥

٢) ينظر: الوقف في العربية: ٦٦.

٣) يُنظَرُ: المزهر:١/ ٢٢٢.

٤) يُنظَرُ: العربية ولهجاتها:٥١، مدخل إلى فقه اللغة العربية١٣٨، اللهجات في القرآن الكريم:٦٠.

٥) يُنظَرُ: فصول في فقه اللغة:١٠٤ ط١، ١٩٧٣، وينظر: فصول في فقه العربية:١٢٢، ط٣، ١٩٨٧. محاضرات في فقه اللغة:١٠٦-١٠٧.

نماذجُ من المادةِ اللغويةِ المسجَّلةِ عن العربِ

إنَّ المادةَ التي سُجِّلَتْ عن العربِ و المتمثلةِ بالعربيةِ الفصحىٰ قد تنوعتْ من حيثُ الاستعمالُ، منها ما يصنفُ في إطارِ اللغةِ النفعيةِ، أي الحوارُ اليوميُّ و الأمورُ العامةُ ومثالُ ذلكَ ما نقلَه الفراءُ عن رجلٍ من اليمنِ في إجرائِهم المصدرَ مشدَّداً إجراءَ فعلِه المشدَّدِ، أي كلَّ (فعَّلتُ) فمصدرُه (فِعَّالٌ): «قالَ لي إعرابيٌّ منهم -أي من اليمنِ- الحلقُ أحبُّ إليكَ أم القِصَّارُ؟ يستفتيني»[1] أي أَ أُقَصِّرُ شعري قِصَّار أحبُّ إليكَ أم أحلقُه و ما نقلَه الأصمعيُّ عن امرأةٍ من بني تميم قالَ: «رأيتُ امرأةً من تميمٍ لم أرَ أفصحَ منها، فسمعتُها تدعو علىٰ أُخرىٰ وتقولُ: إنْ كنتِ كاذبةً فحلبتِ قاعدةً... »[2] وقالَ الفَرَّاءُ أيضاً: «و أخبرَني شيخٌ من أهلِ البصرةِ قالَ: سمعتُ إعرابيةً تقولُ لزوجِها أينَ ابنُكَ ويلَكَ؟ فقالَ ويكِ إنَّه وراءَ البيتِ، معناهُ أمَا ترينَهُ وراءَ البيتِ»[3].

وهذا ما يمثِّلُ المواردَ الأولَ لعملِ اللغويينَ، وحصيلةُ ذلكَ العملِ تسجيلُهم لجملةٍ من الظواهرِ اللغويةِ التي ثبتتْ في مصنَّفاتِهم و المرفوعةِ إلىٰ العربِ مع إشاراتِه إلىٰ الفروقِ اللغويةِ بينَ القبائلِ العربيةِ إذ نصُّوا علىٰ فصاحةِ لغةِ أهلِ الحجازِ في تركِهم إدغامَ الحرفينِ المثلينِ في الجزمِ فيقولونَ: ارْدُدْ ولا تَرْدُدْ وتلكَ هي اللغةُ العربيةُ القديمةُ الجيدةُ[4] وقالَ في موضعٍ آخرَ: «وجميعُ ما وصفْناهُ -في بابِ إضافةِ المنادىٰ إلىٰ نفسِك-... من هذه اللغاتِ -[لغة تميم - طيئ - بكر - قريش]- سمعْناهُ من الخليلِ رحمَه اللهُ ويونسَ عن العربِ»[5]. واعتمدَ اللغويونَ هذه المنهجيةَ في وصفِهم العربيةَ الفصحىٰ سواءً بالنسبةِ إلىٰ الأفرادِ أو إلىٰ القبيلة، أو تحديدِ البيئةِ

---

١) معالم القرآن:٣/ ٢٣١.

٢) الفاضل في اللغة و الأدب:١١٤-١١٥.

٣) معاني القرآن:٢/ ٢٦٩.

٤) ينظر الكتاب: ٤/ ٤٧٣.

٥) الكتاب: ٢/ ٢١٤.

اللغويةِ الفصيحةِ التي تمثلتْ بذا الاستعمالِ اللغويِّ فتمثيلاً لذلكَ قولُ الفَرَّاءِ قالَ: «أنشدَني رجلٌ من الأسد عنهم –يريدُ بني الحارثِ- أي يجعلونَ الاثنينِ في رفعِهما ونصبِهما وخفضِهما بالألفِ قالَ:

فأطرق إطراقَ الشجاعِ ولو يرى مساغاً لِنابَاه الشجاعُ لَصمَّما[1]

قالَ: ما رأيتُ أفصحَ من الأسديِّ»[2].

وقد قرأَ عاصمٌ و الأعمشُ و أهلُ المدينةِ بتثقيلِ قولِه تعالى: «وَكَذَّبُوا بِآياتِنَا كِذَّاباً» (النبأ:٢٨) و قولِه تعالى: «لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً»(النبأ:٣٥) قيلَ هيَ لغةٌ يمانيةٌ فصيحةٌ[3] وقيلَ إنَّ قراءةَ أهلِ المدينةِ وافقتِ اللغةَ اليمانيةَ الفصيحةَ وهذا راجعٌ إلى أنَّ الأوسَ و الخزرجَ وهما جلُّ سكانِ المدينةِ يعودونَ إلى أصلٍ يمانيٍّ و لقراءةِ أهلِ المدينةِ صلةٌ بلغةِ أهلِ اليمنِ[4].

أما النَّوعُ الآخرُ فهو ما يتمثَّلُ باللغةِ الأدبيةِ (الشعر و النثر) و الشعرُ هو الأعظمُ و الأكثرُ تسجيلاً في التراثِ اللغويِّ العربيِّ لأنَّ الظواهرَ اللغويةَ قد وردتْ –من خلالِ اللغةِ الأدبيةِ- بكثرةٍ في مستوياتِها اللغويةِ و بأساليبِها التعبيريةِ المختلفةِ[5]. فضلاً عن أنَّ قواعدَ الكلامِ لا يخرجُ بعضُها عن بعضٍ بالشعرِ و النثرِ، قالَ سيبويهُ: «وسألتُه عن (آتي الأميرة لا يقطع اللصَّ) فقالَ: الجزاءُ ها هنا خطأٌ، لا يكونُ الجزاءُ أبداً حتى يكونَ الكلامُ الأولُ غيرَ واجبٍ، إلى أنْ يضطرَّ شاعرٌ و لا نعلمُ هذا جاءَ في شعرٍ البتةَ»[6] إذا لم يتمثَّل في النثرِ و لا في الشعرِ أي ليسَ ثمةَ مزيةٌ للقواعدِ التي بُنيَتْ

---

١) يُنظَرُ: دراسات وتعليقات في اللغة/ ٧٣-٨٢، (ظواهر لغوية في لهجة طيء القديمة).
٢) معاني القرآن:٢/ ١٥٧.
٣) معاني القرآن:٣/ ٢٣١، إعراب القرآن:٥/ ٨٤.
٤) ينظر: الفصيح في اللغة و النحو:٢٤٢.
٥) ينظر القاعدة النحوية:٦٩.
٦) الكتاب:٣/ ١٠١.

عن الاستعمالِ الشعريِّ دونَ النثريِّ فما ذكرَهُ سيبويهُ فيما تقدَّمَ من القولِ لم يثبُتْ في شعرٍ ولا نثرٍ.

واقتضىٰ عملُ اللغويينَ بتلقّي الشعرِ من الرواةِ و المنشدينَ و اعتمادِ المرويِّ منهما و تسجيلِه تسجيلاً أميناً وهذا ما يتمثّلُ بالمرحلةِ الأولىٰ لعملِ الجغرافيةِ اللغويةِ و جاءَ اعتمادُ سيبويهَ لما صدرَ عن الشعراءِ لأنّهم لسانُ القبيلةِ[1] و إمارةٌ من إماراتِ البيئةِ اللغويةِ وهذا ما تمثلَ بما جمعَهُ علماءُ العربيةِ في خروجِهم إلىٰ البوادي لجمعِ اللغةِ النقيةِ الفصيحةِ التي تمثلتْ أكثرَ في الشعرِ البدويِّ الوعرِ البعيدِ عن نعومةِ الحضرِ ولينِ حياتِهم و اختلاطِهم بالأجناسِ الأخرىٰ[2].

وقد عني اللغويونَ بتحديدِ البيئاتِ اللغويةِ – ضبطِ التوزيعِ الجغرافيِّ–[3] تحديداً جغرافياً من خلالِ اعتمادِهم الشواهدَ الشعريةَ الموثوقَ بصحةِ نسبتِها إلىٰ قائليها أمّا في حالِ الشكِّ في هذه النسبةِ و الخلافِ فيها فالباحثُ معنيٌّ بالبحثِ عن الخلافاتِ الإقليميةِ للعربيةِ الفصحىٰ إلىٰ درجةِ ما يمكنُ أنْ يسلّمَ بصحةِ هذه النسبةِ أولاً.

و مثالُ ذلكَ ما نسبَهُ سيبويهُ إلىٰ ناسٍ من بني تميمٍ يبدلونَ مكانَ المدِّ النونَ في ما نُوِّنَ وما لم يُنَوَّنْ في الشعرِ، و الحجازيونَ يَدَعونَ ذلكَ علىٰ حالِه في الترنم، ثمَّ يأتي بنصوصٍ من الشعرِ أحدهما مجهولٌ و الشاهدانِ الآخرانِ منسوبانِ إلىٰ العجَّاجِ وهو من تميمٍ قالَ: «سمعْناهم يقولونَ: يا أبتا علَّكَ أو عساكنْ»[4]

إنَّ الخلافَ بينَ الحجازيينَ و التميميينَ يؤكدُ أنَّ هذهِ الظاهرةَ الصوتيةَ إبدالَ المدِّ نوناً ظاهرةً تميميةٌ وقد نسبَها صاحبُ الخزانةِ[5] للعجَّاجِ عبدِ اللهِ بنِ رُؤْبَةَ بنِ لَبيدِ بنِ

---

١) العمدة: ١/ ٦٥، العربية بين أمسها و حاضرها:١٠.

٢) ينظر: دراسات في كتاب سيبويه:٨٠، واختلاف الرواية في شواهد سيبويه الشعرية:٥١.

٣) ينظر: تطور اللغوي التاريخي:٣٨.

٤) الكتاب: ٤/ ٢٠٦-٢٠٧.

٥) خزانة الأدب: ٥ / ٣٦٥.

صخرٍ السعديِّ التميميِّ[1] وإلى رؤبةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العجاجِ، وكلاهما من تميمٍ.

و اعتمدَ سيبويهُ ومِن قبلِه شيخُه الخليلُ النصَّ الشعريَّ في بيانِ الظاهرةِ اللغويةِ وتحديدِها جغرافياً.

قالَ سيبويهُ في تسكينِ العينِ مما كانَ متحركاً في الأصلِ: «هذا بابُ ما يُسَكَّنُ استخفافاً و هو في الأصل متحركٌ... وهي لغةُ بكرِ بنِ وائلٍ وناسٍ كثيرٍ من تميمٍ»[2]، ثمَّ جاءَ بنصِّ ابنِ نجدٍ الفضلِ بنِ قدامةَ العجيليِّ البكريِّ[3] دليلاً على هذهِ الظاهرةِ قالَ:

لــــو عُـــــصْرَ منـــــه البـــــانُ والمســـــكُ انعـــــصرْ[4]

ومثلُه قولُه في جعلِ (ذا و ذاتَ) ظرفاً متصرفاً قالَ: «إلاّ أنّه جاءَ في لغةِ لخثعمٍ»[5] أي جعلَهم ذا وذاتَ ظرفينِ متصرفينِ ثمَّ جاءَ بنصٍّ شعريٍّ لرجلٍ من خثعمٍ قالَ:

عزمـــت عـــلى إقامـــةِ ذي صـــباح لشـــيء مـــا يُسّـــوَّدُ مـــن يســـود[6]

وقالَ في موضعٍ آخرَ في فتحِ الآخِرِ من المضعَّفِ إذا التقى الألفُ و اللامُ أو الألفُ الخفيفةُ: «ومنهم من يتركُه إذا جاءَ بالألفِ و اللامِ على حالِه مفتوحاً»[7] وهي لغةٌ لبني أسدٍ و غيرِهم من تميمٍ ثم يأتي بما سجَّله يونسُ عن جريرِ بنِ عطيةَ التميميِّ في هذه اللغةِ قالَ:

---

١) ينظر: الأعلام٤/ ٨٦.

٢) الكتاب: ٤/ ١١٣.

٣) ينظر: الأغاني١٠ / ١٨٣ – ١٩٨.

٤) الكتاب: ٤ / ١١٤.

٥) المصدر نفسه:١ / ٢٢٧.

٦) المصدر نفسه:١/ ٢٢٧، وينظر: همع الهوامع:٣ / ١٤٣

٧) الكتاب:٣ / ٥٣٣.

فغـــــضّ الطـــــرفَ إنـــــك مـــــن نمـــــيرٍ[1]

وقالَ في موضعٍ آخرَ: «التميميونَ يخففونَ ما كُسِرَ من فـعَـال علىٰ فُـعُـل»[2] ثمَّ يأتي بنصٍّ لعديِّ بنِ زيدٍ العباديِّ التميميِّ في ردِّهِ إلىٰ الأصلِ. قالَ: «قالَ الشاعرُ وهو عديُّ بنُ زيدٍ:

وفي الأكـــــــــفِ اللامعـــــــــات ســـــــــورْ[3]

و قالَ في موضعٍ آخرَ من الكتابِ في بابِ الأسماءِ التي يُجازىٰ بها وتكونُ بمنزلةِ الذي إذْ جاءَ بشاهدٍ علىٰ ما رُفِعَ بجوابِ الشرطِ علىٰ نيةِ التقديمِ قالَ: «قالَ الهذليُّ:

فقلـــتُ تحمَّـــلْ فـــوقَ طوقِـــكَ أنهـــا مطبعـــةٌ مـــن يأتِهـــا لا يُظيرُهـــا[4]

ونُسِبَ الشاهدُ في الخزانةِ وفي شرحِ أبياتِ سيبويهَ إلىٰ أبي ذؤيبٍ الهذليِّ[5].

وقد ترسَّمَ علماءُ العربيةِ وباحثوها هذا الأثرَ في بيانِ الظاهرةِ اللغويةِ و تحديدِ بيئتِها، فنقلَ لنا ابنُ جنّيٍّ في المُنصفِ إنَّ بني عامرٍ يقولونَ في فَـعَـلَ المثال الواوي في المضارعِ يَـفْـعَـلُ أي يحذفونَ فاءَ الفعلِ فيقولونَ من وَجَـدَ يَـجُـدُ و استشهد بنصٍّ للبيدِ بنِ ربيعةَ العامريِّ قالَ:

لـو شـئتِ قـد نقـعَ الفـوادُ بشـربةٍ تـدعُ العـواليَ لا يجـدْنَ غلـيلا[1]

---

١) المصدر نفسه ٣/ ٥٣٣.

٢) المصدر نفسه٣ / ٦٠١.

٣) الكتاب:٤/ ٣٥٩.

٤) الكتاب: ٣ / ٧٠.

٥) ينظر: خزانة الأدب:٩ / ٥٢، وشرح أبيات سيبويه : ٢ / ١٩٣.

و قال ابنُ جنيٍّ فيما أجري في الوصلِ على حدِّه في الوقفِ «... قولُ الآخرِ:

فضلت لدى البيت العتيق أخيلةً ومِطواي مشتاقانِ له أرقان[٢]

إذ حكى[٣] أبو الحسنِ إنَّ سكونَ الهاءِ في هذا النحوِ لغةٌ لأزدِ السراةِ، و النصُّ الشعريُّ في أعلاه هو ليعلى بنِ الأحولِ الأزديِّ[٤].

ومن هذه الاستعمالاتِ اللغويةِ التي ثبتتْ في اللغةِ الأدبيةِ ما نُقلَ عن الخليلِ بأنَّ هذيلاً تقولُ: سميجٌ و نذيلٌ، أي إجراءُ الصفةِ في ما كان بناءُ فعلِها فَعُلَ يَفْعُلُ مجرى الاسمِ على فعيلٍ[٥] إذ ثبتَ هذا الاستعمالُ بقولِ أبي ذؤيبٍ الهذليِّ في قصيدةٍ يقولُ في مطلعِها

ثمَّ قالَ:

صبا صبوة بل لجَّ وهو لجوج وزالت له بالانعميم حدوحُ

فإن تعرضي عني و إن تتبدلي خليلا ومنهم صالح وسميج[٦]

ومن الدارسينَ المحدثينَ لاسيما المستشرقين (تشِم رابين) قالَ في ظاهرةِ الترخيمِ أنَّ «مثلَ هذا الترخيمِ –يا أبا الحك– وجدَ في شعرِ جميعِ القبائلِ، و لا يوجدُ في شعرِ طيءٍ، و مما يشعرُ بنزعةٍ مثيرةٍ للانتباهِ في هذا الاتجاهِ، ولم تَرِدْ مثلُ هذه الصيغةِ في

---

١) ينظر المنصف:١/ ١٨٧، شرح الشافية: ١/ ٢٩٣.

٢) الخصائص: ١ / ١٦٤.

٣) الخصائص: ١ / ١٦٤.

٤) ينظر خزانة الأدب:٥ / ٢٧٥.

٥) الكتاب:٤ / ٣٠.

٦) ينظر : شرح أشعار الهذليين: ١ / ٩٣ – ١٠٠.

شعرِ أيٍّ من شعراءِ طيٍ»[1] في النداءِ وغيرِ النداءِ و من المحدثينَ العربِ الدكتورُ عبدُ الجوادِ الطيبِ إذْ نسبَ الإظهارَ أي فكُّ الإدغامِ للهذليينَ الذينَ جمعوا بعضَ خصائصِ البدوِ في وسطِ الجزيرةِ وبعضَ خصائصِ الحضرِ من الحجازيينَ وكانوا أقربَ مَيلاً إلى الإظهارِ في المُضَعَّفِ وقد وردَ ذلكَ في أشعارِهم.

كقـــول أبي ذؤيـــب الهـــذلي: (وإنْ تعتـذر يُـرْدَدْ عليهـا اعتـذارها)

وقـــول أســـامة بـــن حـــارث: (عصـــاني ولم يـــردد عـــلىَّ بطاعـــةٍ)

وقـــــــول المنخَّـــــــلِ: (في تفـــره الإثمـــد لم يغلـــلِ)

وآخرينَ من شعراءِ هُذيلٍ[2].

والدكتورُ رمضانُ عبدُ التوّابِ إذْ نَسَبَ ظاهرةَ (كراهةِ توالي الأمثال) إلى طيّءٍ قالَ: «وجاءتْ هذه الظاهرةُ في أشعارِ الطائيين بكثرةٍ» كما في قول الطِرِمَّاحِ بنِ حكيمٍ الطائيِّ:

ظلـــتَ منهـــا كصرـــيع المـــدامِ أراد ظللـــت وهـــي لغـــة طـــيء»[3]

والدكتورُ علي ناصر غالب اعتمد دواوينَ شعراءِ أسدٍ في تحديدِ جوانبَ لغويةٍ نسبَها إلى لهجةِ أسدٍ[4]، وهذا ما اعتمدَهُ أيضاً الدكتور غالب فاضل المطّلبي في بيانِ جملةٍ من الآثارِ اللغويةِ في شعراءِ تميمٍ[5].

فتلكَ هي المادةُ اللغويةُ التي سُجِّلتْ عن العربِ و لا يحقُّ لنا أن نحيدَ عنها سواءً كانتْ مادةً نثريةً أم شعريةً، لأنَّ النحوَ قامَ وبُني على تلك المادةِ المرويةِ المسجلةِ عن

---

١) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ٣٥٩.

٢) يُنظَرُ: لغات العرب لغة هذيل/ ١٤٠-١٤٥.

٣) يُنظَرُ: دراسات وتعليقات في اللغة/ ٧٣-٨٢، (ظواهر لغوية في لهجة طيء القديمة).

٤) يُنظَرُ: لهجة قبيلة أسد: (٧٠)، (٧١)، (٧٥).

٥) يُنظَرُ: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: (٧٤)، (٧٩).

العربِ، قالَ سيبويهُ في موضعٍ من الكتابِ: «والذي ذكرتُ لكَ قولُ الخليلِ، و رأينا العربَ توافقُه بعد ما سمعْناه منه»[1]. وقالَ في موضعٍ آخرَ«واعلمْ أنَّ كلَّ شيءٍ ابتدأْناه في هذينِ البابينِ أولاً هو في القياسِ و جميعَ ما وصفْناه من هذه اللغاتِ سمعْناه من الخليلِ رحمَه اللهُ ويونسَ عن العربِ»[2] وقالَ في ما وردَ من نصوصٍ استعماليةٍ «إنها حججٌ سُمعتْ عن العربِ وممن يوثقُ بهِ، يزعمُ أنه سمعَها من العربِ»[3].

١) الكتاب:٢/ ١١٧.

٢) المصدر نفسه:٢/ ٢١٤.

٣) المصدر نفسه:١/ ٢٥٥.